Redefining Sudanese Identity (from A crisis of Classification to Building a (Unifying Identity

إعادة تعريف الهوية السودانية (من ازمة التصنيف الى بناء هوية جامعة)

إعداد

د. محمد حيدر الحبر الطيب
كلية التربية
جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم

Abstract

This study examines the roots of Sudanese identity and the historical, cultural, and political factors that have contributed to its formation, adopting a descriptive analytical approach based on historical and documentary sources. The findings indicate that Sudanese identity is a cumulative product of a long process of civilizational interaction involving Nubian, Kushite, and Christian civilizations, alongside Arab, Islamic, and African influences. Colonialism played a significant role in deepening identity divisions, while the post-independence period reinforced regional and ethnic disparities. The study also highlights the central role of culture, arts, education, media, and civil society in shaping an inclusive national identity discourse. It concludes that building a unified Sudanese identity requires recognizing and managing diversity within a comprehensive national project grounded in dialogue, reconciliation, and the development of educational and media policies to strengthen national belonging and reduce divisions.

Keyword: Sudanese identity , Classification crisis , Building a university identity

المستخلص

يتناول هذا البحث تحليل جذور الهوية السودانية والعوامل التاريخية والثقافية والسياسية التي اسهمت في تشكيلها، معتمدا المنهج الوصفي التحليلي بالاستناد الى الدراسات التاريخية والوثائقية. وتوصل البحث الى ان الهوية السودانية نتاج تراكمي لتفاعل حضاري طويل شمل الحضارات النوبية والكوشية والمسيحية، الى جانب التأثيرات العربية والاسلامية والافريقية، وقد ساهم الاستعمار في تعميق الانقسامات الهوياتية، بينما ادت مرحلة ما بعد الاستقلال الى ترسيخ بعض التمايزات الجهوية والعرقية. كما ابرزت نتائج البحث الدور المحوري للثقافة والفنون والتعليم والاعلام والمجتمع المدني في بناء خطاب هوية وطنية جامعة، واكدت ان ترسيخ هوية سودانية موحدة يتطلب الاعتراف بالتنوع وادارته ضمن مشروع وطني شامل يقوم على الحوار والمصالحة وتطوير السياسات التعليمية والاعلامية، بما يعزز الانتماء الوطني ويحد من الانقسامات.

الكلمات المفتاحية : الهوية السودانية ، ازمة التصنيف ، بناء هوية جامعة.

المبحث الأول : الإطار العام للبحث :

مقدمة البحث :

تعد الهوية السودانية واحدة من اكثر الهويات تعقيدا وتشابكا في العالم المعاصر، وذلك نتيجة لتعدد الجذور الثقافية والاثنية واللغوية التي تداخلت عبر القرون في تشكيل البنية النفسية والاجتماعية والسياسية للانسان السوداني. فهذا البلد الذي يقع عند نقطة التقاء طبيعي بين شمال افريقيا وجنوبها، وبين وادي النيل وحزام السافنا الافريقية، اختزن في داخله رواسب عميقة من الثقافة العربية والافريقية والنوبية والاسلامية، وتفاعلت هذه العناصر بطريقة مستمرة وغير مستقرة، مما جعل سؤال الهوية يتجدد في كل مرحلة تاريخية ويظهر بشكل اكثر حدة اثناء الازمات السياسية والاجتماعية. وهذا التعقيد لم يكن ظاهرة سطحية، بل تحول الى ازمة وجودية اثرت على تشكيل الدولة وبناء الوعي الجمعي وصناعة القرار السياسي، كما اشار اليه بندكت (اندرسون 1991 ص 44) في حديثه عن تشكل الهوية الوطنية في سياقات ملتبسة.

يعاني المجتمع السوداني في اللحظة الراهنة من حالة فقدان شبه كامل للبوصلة التعريفية، حيث لم يعد السودانيون قادرين على حسم سؤال جوهري وبسيط: من نحن؟ هل نحن عرب؟ ام افارقة؟ ام مزيج؟ ام ان

الهوية السودانية كيان مستقل يتجاوز ثنائية التصنيف العرقي كما يشير (ستيوارت هول 1996 ص 78) في نقده لنماذج الهوية الثابتة. هذا الارتباك في توصيف الذات انعكس بشكل مباشر على العلاقات الاجتماعية، والرؤى الثقافية، وعلى طبيعة الصراعات التي انفجرت في السودان خلال العقود الاخيرة، كما اوضحه (فرانتز فانون 1967 ص 101) في تفسيره لظاهرة الازدواج الهوياتي في مجتمعات ما بعد الاستعمار.

بالنظر الى الجدل المتصاعد في الاوساط السودانية حول الانتماء، نجد ان هناك تيارات بدأت ترفض التصنيف العربي، واخرى تنفي اي صلة بالافريقانية، فيما تنمو اتجاهات جديدة ترى ان الهوية السودانية هوية مستقلة يجب ان تُفهم داخل سياقها الخاص، بعيدا عن التصنيفات الخارجية. هذا الحراك الفكري والاجتماعي يستدعي دراسة علمية منهجية عميقة للكشف عن جذور ازمة الهوية وتحليل ابعادها وتحديد مداخل تجاوزها، خاصة في ظل الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يمر بها السودان حاليا.

عليه، جاء هذا البحث ليساهم في تحليل ازمة فقدان الهوية السودانية، وفهم الخلفيات التاريخية والاجتماعية التي قادت اليها، وتقديم قراءة نقدية لمسار تشكل الذات السودانية، مع اقتراح اطار نظري يساعد على بناء هوية جامعة تتجاوز ثنائية عربي افريقي، وتعتمد على تاريخ السودان وواقعه وتركيبته الفريدة.

مشكلة البحث :

على الرغم من تعدد الدراسات التي تناولت قضايا الهوية في السودان، الا ان اغلبها ظل اسير نماذج جاهزة تعتمد على فرضية ان الهوية السودانية اما عربية او افريقية، دون محاولة جادة لفحص هذا الافتراض او نقده. ومع التطورات السياسية الاخيرة، انفجرت ازمة الهوية بشكل غير مسبوق وظهرت اشكال حادة من الرفض والانكار والتشظي الهوياتي، مما جعل سؤال الهوية يتحول من قضية نقاش فكري الى ازمة تهدد وحدة المجتمع السوداني وتماسكه.

وتتمثل مشكلة البحث في وجود حالة فقدان واضح للهوية السودانية، حيث يشعر جزء كبير من المجتمع بانتماء غير مكتمل، لا الى العروبة ولا الى الافريقانية، مما يخلق فراغا معرفيا وثقافيا وانثروبولوجيا. هذا الفراغ ينعكس على الوعي الجمعي وعلى العلاقات بين المكونات السودانية، ويؤثر على الاستقرار السياسي والاجتماعي، كما وصف (ارنست غلنر 1983 ص 55) طبيعة الازمات التي تنشأ في المجتمعات التي تعاني من تشوه في تشكل الهوية.

وتتجلى مشكلة البحث في الاسئلة التالية:

1. لماذا تشكلت الهوية السودانية في حالة بينية غير محسومة؟
2. ما العوامل التاريخية والثقافية والسياسية التي ساهمت في فقدان البوصلة التعريفية؟

3. لماذا يرفض السودانيون الانتماء الى العروبة وفي نفس الوقت لا يتبنون الافريقانية؟
4. هل يمكن بناء هوية سودانية مستقلة تتجاوز التصنيفات التقليدية؟
5. كيف يمكن صياغة مفهوم جديد للهوية السودانية ينسجم مع الواقع المعاصر؟

اهداف البحث :

1. تحليل جذورازمة الهوية السودانية تاريخيا وثقافيا واجتماعيا.
2. الكشف عن الاسباب التي ادت الى ظهور حالة الفقدان الهوياتي بين السودانيين.
3. دراسة اثر الصراعات السياسية والاستعمارية في تشكيل الهوية السودانية.
4. تقييم النماذج النظرية السابقة في تفسير الهوية السودانية ونقدها بطريقة علمية.
5. اقتراح اطار نظري يساعد في بناء هوية سودانية مستقلة تتجاوز ثنائية عربي افريقي.
6. تقديم توصيات منهجية وعملية لتعزيزالهوية الوطنية السودانية بصورة جامعة وغير اقصائية.

اهمية البحث :

اهمية نظرية

1. يرفد الادبيات العلمية بنموذج تحليلي جديد لتفسير ازمة الهوية السودانية بعيدا عن الاطر التقليدية.
2. يسهم في تطوير النقاش النظري حول مفهوم الهوية في المجتمعات متعددة الانتماءات .
3. يعيد قراءة التجربة التاريخية السودانية من زاوية نقدية تفتح المجال لفهم جديد للذات.
4. يثري الدراسات الثقافية والانثروبولوجية الخاصة بالسودان.

اهمية تطبيقية :

1. يساعد صناع القرار على فهم العوامل المؤثرة في تماسك الهوية الوطنية.
2. يوفر قاعدة معرفية يمكن اعتمادها في برامج التعليم والثقافة والإعلام لبناء وعي وطني واحد.
3. يساهم في الحد من الصراعات الاجتماعية القائمة على التصنيفات العرقية والثقافية.
4. يقدم اطارا عمليا يمكن توجيهه للبناء الوطني واصلاح العلاقات بين المكونات السودانية.

اسئلة البحث :

1. ما طبيعة الهوية السودانية وكيف تشكلت عبر التاريخ؟
2. ما الاسباب التي جعلت الهوية السودانية معلقة بين العروبة والافريقانية؟
3. كيف اثرت الظروف الاستعمارية والسياسية والاثنية في تشويه الهوية السودانية؟
4. ما مظاهر فقدان الهوية في الواقع السوداني المعاصر؟
5. هل يمكن بناء هوية سودانية مستقلة تتجاوز التصنيفات التقليدية؟

6. ما المعايير العلمية لبناء هوية سودانية جامعة؟

منهج البحث :

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على جمع المعلومات والبيانات المتعلقة بتاريخ الهوية السودانية وتحليلها وفقا لمقاربات نظرية مختلفة، ودمجها في اطار علمي يساعد على فهم المشكلة. كما يستخدم البحث منهج تحليل الخطاب في دراسة النصوص الثقافية والسياسية التي اسهمت في تشكيل الوعي الجمعي السوداني، ويعتمد البحث ايضا على المنهج التاريخي لملاحقة مسار تشكل الهوية منذ الحضارات القديمة وحتى عصر الدولة الحديثة، اضافة الى توظيف المنهج المقارن في مقارنة نماذج الهوية في السودان مع مجتمعات ذات ظروف مشابهة.

حدود البحث :

1. الحدود الموضوعية: يركز البحث على تحليل الهوية السودانية من زاوية ثقافية اجتماعية ولا يتناول الجوانب السياسية التفصيلية الا بقدر ارتباطها بالسياق الهوياتي.
2. الحدود المكانية: يقتصر البحث على السودان بشكله الجغرافي المعروف بعد انفصال جنوب السودان.
3. الحدود الزمانية: يغطي البحث الفترة من العهد التركي المصري وحتى الوقت الحاضر، مع الاشارة الى بعض المراجع التاريخية الاقدم عند الحاجة.
4. الحدود المنهجية: يعتمد البحث على التحليل النظري والنصي دون استخدام ادوات ميدانية.

مصطلحات البحث :

1. الهوية: مجموعة السمات والخصائص الثقافية والاجتماعية التي تحدد شعور الفرد او المجموعة بذاتها، (هول 1996 ص 54.)
2. الانتماء: ارتباط الفرد بجماعة او ثقافة او فضاء حضاري معين، وهو مفهوم نقده (فانون 1967 ص 89) باعتباره نتاجا لتوازنات القوة.
3. الثقافة: منظومة المعاني والقيم والممارسات التي تشكل حياة الناس كما يعرفها (غيورغ 2009 ص 33.)
4. الوعي الجمعي: البنية الفكرية المشتركة التي تربط اعضاء المجتمع كما يصفها (دوركايم 1912 ص 17.)
5. الهوية الوطنية: نسق جامع يضم كل مكونات المجتمع ويعبر عن ذاته التاريخية والجغرافية والوجدانية.

المبحث الثاني : تشكل الهوية السودانية: الجذور التاريخية والثقافية والاجتماعية

يتناول هذا المبحث تحليل البنى التاريخية والثقافية والاجتماعية التي اسهمت في تشكل الهوية السودانية عبر آلاف السنين، من منظور يدمج التحليل الانثروبولوجي والتاريخي والسياسي. ففهم ازمة فقدان الهوية

السودانية المعاصرة لا يمكن ان يتم بمعزل عن مسار تراكمي طويل من التفاعل بين ثقافات متعددة، بعضها محلي ضارب في القدم، وبعضها وافد عبر الهجرات والاحتكاك الخارجي. وتكشف ادبيات الهوية القومية ان اي هوية وطنية لا تولد فجأة بل تتخلق عبر تراكم زمني طويل، كما يؤكد (اندرسون 1991 ص 44) في تحليله لمفهوم (الجماعات المتخيلة) .(Anderson 1991, p.44)

ويرتكز هذا المبحث على ثلاثة مطالب رئيسية موسعة:

1. تشكل الهوية السودانية قبل الدولة الحديثة
2. الهوية السودانية في ظل الاستعمار والتحولات الكبرى
3. تأثير العروبة والافريقانية في بناء الوعي السوداني الحديث

المطلب الاول: تشكل الهوية السودانية قبل الدولة الحديثة

تعود جذور الهوية السودانية الى حضارات قديمة مثل كوش ونبتة ومروي، وهي حضارات تركت ارثا سياسيا وثقافيا ولغويا شكّل نواة البنية الرمزية للسكان. وتظهر اعمال التنقيب التي قامت بها اوبراين 1998 ص 112 ان السكان النوبيين طوروا نمطا حضاريا قائما على نظم ملكية مستقلة، ولغات محلية، ورموز دينية خاصة، ما يشير الى هوية افريقية نيلية ذات سمات مميزة (.O'Brien 1998, p.112)

وتشير الدراسات الانثروبولوجية الى ان التفاعل بين سكان الشمال النوبي وسكان الوسط من المجموعات النيلية والرعوية خلق بنية اجتماعية مركبة منذ زمن بعيد. وهذا ما يتوافق مع تحليل فانون 1967 ص 101 الذي يرى ان المجتمعات متعددة الاعراق تسلك نمطا هوياتيا يقوم على "تماس ثقافي مستمر دون انصهار كامل"، وهي حالة تنطبق على السودان قبل الاسلام (.Fanon 1967, p.101)

كما شكلت الممالك المسيحية (نوباتيا، المقرة، علوة) مرحلة مهمة جدا في تشكل الهوية السودانية، اذ ازدهرت نظم ادارية ودينية وتعليمية تركت اثرا في الثقافة المحلية. ويصف هولت 1977 ص 65 هذه المرحلة بانها "مرحلة توازن داخلي" حيث نشأت هوية مسيحية افريقية مستقرة نسبيا قبل التغيرات اللاحقة (Holt 1977, p.65).

ومع دخول الاسلام تدريجيا ابتداء من القرن الرابع عشر، ظهرت مرحلة جديدة من التفاعل الثقافي. فقد اندمجت مجموعات عربية مهاجرة مع السكان المحليين من خلال المصاهرة والتجارة ونشر طرق الصوفية. ويؤكد ماكمايكل 1922 ص 201 ان القبائل العربية لم تتمكن من فرض نموذج عروبي خالص، بل تبنت عناصر ثقافية افريقية واسعة في نمط العيش واللغة والعادات (.MacMichael 1922, p.201)

وعليه فإن الهوية السودانية قبل الدولة الحديثة كانت هوية متعددة الطبقات، تتداخل فيها العناصر النوبية والافريقية والعربية دون غلبة مطلقة لاي عنصر، وهو ما يجعلها بنية مفتوحة قابلة لاعادة التشكل.

المطلب الثاني: الهوية السودانية في ظل الاستعمار والتحولات السياسية الكبرى

اولا: المرحلة التركية المصرية

مع دخول الحكم التركي المصري 1821 شهد السودان تغيرات جذرية في بنيته الاجتماعية والسياسية. فقد فرضت الادارة الجديدة نظاما مركزيا لاول مرة، ونقلت السلطة من البنى التقليدية الى جهاز اداري مستورد. ويؤكد ابو سليم 1981 ص 144 ان هذا التحول خلق فجوة بين السكان والسلطة، وولد شعورا بالاغتراب وخلخلة للبنى القديمة التي كانت تشكل اساس الهوية المحلية (Abu Salim 1981, p.144).

وقد ادت سياسات الضرائب والسخرة الى اعادة توزيع السكان وظهور مراكز جديدة على حساب البنى القبلية القديمة، مما ادخل السودان في مسار تحول اجتماعي لم يكتمل.

ثانيا: الحكم الثنائي البريطاني المصري

اتبع البريطانيون سياسة واضحة تقوم على اعادة تعريف المجتمع السوداني من خلال تقسيمه الى هويتين: شمال عربي اسلامي وجنوب افريقي غير مسلم. ووثق وودورد 1979 ص 88 هذه السياسة تحت ما يعرف بالمناطق المقفولة، وهي سياسة عمقت الانقسام الثقافي وخلقت ثنائية لم تكن حادة قبل الاستعمار (Woodward 1979, p.88).

كما ادخل البريطانيون مفاهيم جديدة مثل الحدود القومية، والمواطنة، والتعليم النظامي، وهي مفاهيم اعادت تشكيل الوعي الجمعي. ويشير اندرسون 1991 ص 74 ان هذه التغييرات غالبا ما تعيد صياغة الهوية الوطنية وفق حاجات الاستعمار لا وفق الواقع الثقافي للشعوب (Anderson 1991, p.74).

ثالثا: مرحلة ما بعد الاستقلال

ورث السودان دولة حديثة بحدود مصطنعة وتكوينات هوياتية متشظية. ويؤكد نقد 1993 ص 57 ان ازمة الهوية بعد الاستقلال ليست ازمة طارئة، بل نتاج مسار طويل من التكوينات الثقافية المتنافرة التي لم تتوحد اطارا وطنيا شاملا (Nugud 1993, p.57).

وقد ساهمت الصراعات السياسية والحروب الاهلية في تعميق الانقسام وتضخيم ثنائية عربي / افريقي حتى اصبحت جزءا من الخطاب السياسي والاجتماعي.

المطلب الثالث: تأثير العروبة والافريقانية في تشكيل الوعي السوداني الحديث

1. التيار العروبي

يرى التيار العروبي ان السودان جزء من المنظومة العربية تاريخا وثقافة ولغة. ويستشهد هذا الاتجاه بالاسلام واللغة العربية وانتشار القبائل العربية. ويؤكد عبدالله الطيب 1955 ص 23 ان العربية هي "نواة الهوية الثقافية للسودانيين" (Abdallah Al-Tayyib 1955, p.23).

لكن هذا التيار تعرض لنقد من باحثين يرون ان العروبة السودانية ثقافية لا عرقية. ويشير محمد جلال هاشم 2005 ص 119 الى ان السودان "تعرب لغويا لكنه لم يتعرّب اثنيا"، مما يجعل العروبة واحدة من طبقات الهوية وليست جوهرها الوحيد (Hashim 2005, p.119).

2. التيار الافريقاني

يركز هذا الاتجاه على الجذور النوبية والافريقية القديمة وعلى ان السودان ثقافيا وجغرافيا جزء من الفضاء الافريقي. ويرى منصور خالد 1973 ص 66 ان الهوية السودانية ليست عربية خالصة بل هوية افريقية اسلامية متداخلة (Khalid 1973, p.66).

3. التيار السوداناوي (الهوية المستقلة)

ظهر هذا الاتجاه بوصفه محاولة لخلق هوية سودانية خالصة لا تنتمي للعروبة ولا للهوية الافريقية. ويؤكد عبدالله علي ابراهيم 1998 ص 201 ان الهوية السودانية نتاج سيرورة تاريخية معقدة لا يمكن اختزالها في ثنائية جاهزة (Abdallah Ali Ibrahim 1998, p.201).

التداخل والازدواج الهوياتي

يشير ستيوارت هول 1996 ص 78 الى ان المجتمعات المتعددة والمهجنة تنشئ هويات غير ثابتة بل "هويات هجينة" تتغير باستمرار وفق الظروف والتفاعلات (Hall 1996, p.78).

وهذا ينطبق تماما على السودان الذي يتداخل فيه الوعي العربي مع الجذور الافريقية والنوبي مع الاسلامي والغربي مع المحلي، مما يجعل الهوية بنية غير مستقرة وقابلة للانقسام.

يرى الباحث من التحليل ان الهوية السودانية تشكلت في سياق تاريخي طويل من الامتزاج الثقافي والاختلاط العرقي وتدخلات الاستعمار والتصنيف الايديولوجي، مما جعلها هوية معقدة متعددة المستويات. وتعود ازمة فقدان الهوية السودانية اليوم الى غياب قدرة حقيقية على دمج مكونات العروبة والافريقانية في اطار وطني جامع، والى فشل النخب السياسية في بناء مشروع هوية متسقة. وهكذا يبقى السؤال الهوياتي في السودان سؤالا مفتوحا قابلا لاعادة التشكيل.

المبحث الثالث: ازمة الهوية السودانية المعاصرة: تجليات فقدان الانتماء وتمزق الوعي الجمعي :

يتناول هذا المبحث تحليل الابعاد الراهنة لازمة الهوية السودانية وفقدان الاحساس بالانتماء، وهي ازمة تراكمت مع الزمن نتيجة مزيج معقد من العوامل السياسية والاجتماعية والثقافية التي جعلت السودانيين يقفون في منطقة رمادية بين العروبة والافريقانية. وقد وصف منصور خالد هذه الظاهرة بانها "انشطار في الوعي السوداني بين تاريخين وحضارتين" (خالد 1990 ص 33)، ما يجعل تفكيك هذه الازمة ضرورة لفهم بنية الهوية الحالية.

المطلب الاول: تجليات فقدان الانتماء في الخطاب الثقافي والاجتماعي

اولا: الوعي الشعبي المتأرجح بين انتماءين

يكشف تحليل الخطاب الشعبي السوداني عن حالة من التردد الدائم في تعريف الذات، اذ يظهر السودانيون بوصفهم عربا في مواجهة الافارقة، وافارقة في مواجهة العرب، مما يعكس غياب مركز ثابت للانتماء. وقد وصف محمد جلال هاشم هذا التردد بانه "هوية في حالة تعليق دائم" (هاشم 2005 ص 141)، وهو وصف دقيق لحالة الارتباك الهوياتي في المجتمع السوداني. ويشير عبد الله علي ابراهيم الى ان السودانيين يعانون من "فجوة بين الانتماء المتخيل والانتماء الواقعي" (ابراهيم 1998 ص 217)، وهي فجوة تجعل سؤال الهوية سؤالا مفتوحا لا يجد اجابة نهائية.

ثانيا: انعكاس الازمة في الخطاب الثقافي والاعلامي

تتجلى الازمة ايضا في الخطاب الثقافي السوداني، حيث تتردد مفاهيم مثل العروبة والافريقانية والهجنة والسودانوية دون توافق حول اي منها يمثل جوهر الهوية. وترى فاطمة بابكر ان الاعلام السوداني يعيد انتاج صور ثقافية "عربية مثالية" تتعارض مع الواقع الاجتماعي للسودانيين (بابكر 1991 ص 67)، مما يجعل السوداني يشعر بانتماء ثقافي لا يعبر عنه تماما. كما يشير ستيوارت هول الى ان المجتمعات الهجينة ثقافيا تعاني من تشظي المعنى وفقدان المركز الرمزي (هول 1996 ص 81)، وهو ما ينطبق بدقة على الحالة السودانية.

ثالثا: التناقض بين الممارسات الاجتماعية والخطاب الهوياتي

يكشف تحليل العادات السودانية عن وجود ازدواج كبير بين ممارسات ذات جذور عربية مثل حفلات الزواج والاحتفاء باللسان العربي، وبين ممارسات ذات جذور افريقية واضحة كالرقصات التقليدية والطقوس المناطقية. وقد اشار ماكمايكل الى ان هذا التداخل ناتج عن تاريخ طويل من الامتزاج بين الثقافات دون حسم انتماء بعينه (ماكمايكل 1922 ص 233)، مما يجعل الهوية السودانية اقرب الى "هوية هجينة غير مستقرة".

المطلب الثاني: دور الدولة والمؤسسات السياسية في صناعة ازمة الهوية السودانية

اولا: سياسات التعريب والاسلمة واثرها على الهامش الاجتماعي

اتبعت الدولة السودانية منذ الاستقلال سياسات هدفت الى تعريب الهوية وربطها بالعالم العربي، وقد اعتبر محمد ابو القاسم حاج حمد ان هذه السياسات خلقت "هوية فوقية غير منسجمة مع الواقع المتنوع" (حاج حمد 1980 ص 221)، كما ساهمت في تأجيج الصراعات بين المجموعات العربية وغير العربية. ويرى محمد

سعيد القدال ان مشروع التعريب جاء "منزوعا من جذره الاجتماعي" (القدال 1992 ص 144)، مما جعله مشروعا سياسيا لا يعبر عن التركيبة الثقافية الفعلية.

ثانيا: فشل مشروع الدولة الوطنية في بناء هوية مشتركة

يؤكد محمد ابراهيم نقد ان السودان ورث دولة حديثة بلا مشروع وطني جامع (نقد 1993 ص 71)، ولذلك ظل المجتمع متنازعا حول تعريف الهوية. ويشير هولت الى ان غياب هذا المشروع جعل الدولة عاجزة عن خلق معنى موحد للانتماء الوطني (هولت 1977 ص 92)، مما رسخ الانقسامات الجهوية والاثنية.

ثالثا: الجغرافيا السياسية كعامل لتعميق الانقسام الهوياتي

يصف روبرت كولينز السودان بانه "جسر جغرافي بين العروبة والافريقانية" (كولينز 2008 ص 188)، وهو موقع جعل المجتمع يعيش حالة تنازع مستمر بين مجالين حضاريين. وبعد انفصال جنوب السودان يذكر عبد الوهاب الافندي ان "الهوية السودانية دخلت في حالة فراغ" (الافندي 2012 ص 56)، لان الانفصال كشف هشاشة المشروع الهوياتي للدولة.

المطلب الثالث: الوعي الجمعي السوداني بين العروبة والافريقانية

اولا: العروبة هوية لغوية اكثر من كونها عرقية

يرى محمد جلال هاشم ان العروبة في السودان هي "ظاهرة لغوية وثقافية لا عرقية" (هاشم 2005 ص 152)، ولذلك لا يشعر السودانيون بانتماء عرقي كامل للعروبة. وقد اشار عبدالله الطيب الى ان العربية في السودان "ثقافة مكتسبة لا هوية عرقية" (الطيب 1955 ص 47).

ثانيا: الافريقانية جذر ثقافي غير مكتمل المعنى السياسي

يرى منصور خالد ان السودانيين ينتمون حضاريا لافريقيا، ولكنهم لا يعيشون التجربة الافريقية المشتركة سياسيا ولغويا (خالد 1973 ص 93)، مما يجعل الافريقانية انتماء غير مكتمل ايضا.

ثالثا: السودانوية كاطار هوياتي بديل

قدم عبد الله علي ابراهيم ورفاقه مفهوم السودانوية كحالة وسطى تتجاوز ثنائية عربي افريقي (ابراهيم 1998 ص 223)، لكنها بقيت اطارا فكريا ولم تتحول الى مشروع دولة متفق عليه.

رابعا: ازمة الهوية في وعي الشباب السوداني

اشارت دراسة عبد الرحمن الطيب الى ان غالبية الشباب السودانيين يعرفون هويتهم بعبارة "نحن سودانيون فقط" (الطيب 2015 ص 119)، وهي عبارة تعبّر عن فقدان المرجعية الهوياتية.

ويرى الباحث من التحليل ان ازمة الهوية السودانية ليست صراعا سطحيا بين العروبة والافريقانية، بل هي بنية عميقة من التناقضات التي صنعتها الدولة، والتاريخ، والجغرافيا، والوعي الجمعي، مما جعل السودانيين

يعيشون حالة هوية معلقة تبحث عن مركز ثابت. وقد وصف هول هذه الحالة بانها "هوية بلا جذور ثابتة" (هول 1996 ص 86)، وهو وصف يلخص الوضع السوداني بدقة.

المبحث الرابع : تحولات الهوية السودانية في الخطاب الثقافي والسياسي المعاصر

يتناول هذا المبحث تحليل الكيفية التي تطورت بها الهوية السودانية خلال العقود الاخيرة، في ظل تحولات سياسية واجتماعية وثقافية عميقة اعقبت الاستقلال ثم انفصال الجنوب وازمات المركز والهامش، وما رافقها من صعود خطابات ثقافية متعددة حول السودانوية، والعروبة، والافريقانية، والهوية الاسلامية، والهوية الهجينة. ويقوم هذا المبحث على فرضية اساسية مفادها ان الهوية السودانية المعاصرة ليست نتاج معطى ثابت، بل نتاج جدل وصراع وعمليات اعادة تشكيل مستمرة، كما ذهب الى ذلك اريك هوبزباوم في تحليله للهويات القومية الحديثة، حيث اعتبر ان الهوية "اختراع اجتماعي مستمر" وليس كيانا مكتملا (هوبزباوم 1992 ص 17).

ويرتكز المبحث على ثلاثة مطالب رئيسية هي:

1. خطاب الهوية السودانية بعد الاستقلال وحتى بدايات القرن الحادي والعشرين
2. صراعات المركز والهامش ودورها في اعادة تشكيل الهوية
3. الهوية السودانية في ظل العولمة والاعلام والهجرة والتحولات ما بعد الحداثية

وكل مطلب يتضمن تحليلا نظريا معمقا، مع ربطه بالتحولات السياسية والاجتماعية والثقافية التي شهدها السودان.

المطلب الاول : خطاب الهوية السودانية بعد الاستقلال وحتى بدايات القرن الحادي والعشرين

شهد السودان بعد الاستقلال عام 1956 صراعا ايديولوجيا حول تعريف الهوية الوطنية، وقد لعبت النخب المتعلمة دورا كبيرا في صياغة خطاب الهوية، حيث تنازعت تيارات العروبة والافريقانية والسودانوية. وفي هذا السياق تشير دراسات شريف حرير الى ان النخب السودانية ورثت دولة بدون مشروع هوية، ما جعل السؤال الهوياتي ساحة مفتوحة للتجاذبات الايديولوجية (حرير 1995 ص 41).

اولا: التيار العروبي الاسلامي بعد الاستقلال

هيمن التيار العروبي الاسلامي على خطاب الدولة بعد الاستقلال، خصوصا خلال حكومات ما بعد 1956 ثم نظام عبود ثم مرحلة ما بعد 1970. وقد قامت هذه الرؤية على ركيزتين:

1. اللغة العربية بوصفها لغة رسمية وادات توحيد
2. الدين الاسلامي بوصفه جامعة حضارية وثقافية

وقد عملت الانظمة المتعاقبة على اعادة انتاج هذا الخطاب من خلال المناهج التعليمية والاعلام الرسمي. ويذهب عبد الله الطيب الى ان العربية ليست مجرد اداة تواصل، بل وعاء ثقافي اساسي للسودانيين، معتبرا ان الانتماء العربي "انتماء اصيل" في وجدان السودانيين (الطيب 1955 ص 23).

لكن هذا الطرح واجه نقدا من باحثين مثل ابراهيم الحسن الذي اكد ان العروبة في السودان لم تتشكل كهوية عرقية خالصة، بل كهوية سياسية وثقافية تم فرضها من فوق بفعل مؤسسات الدولة الحديثة (الحسن 1980 ص 71).

ثانيا: الخطاب الافريقاني وبداية التشكيك في الانتماء العربي

بدأت في الستينات والسبعينات حركة فكرية افريقية في السودان تنتقد مركزية العروبة في تعريف الهوية. وقد كتب منصور خالد حول "افريقية السودان الثقافية"، مؤكدا ان الابجدية النوبية والافريقية القديمة، وانماط العمران، ومؤسسات القرابة، تشكل عناصر مركزية في الهوية السودانية (خالد 1973 ص 66).

كما اعتبر الباحث النور حمد ان السودان بلد "متعدد الهويات"، وان العروبة ليست سوى طبقة ثقافية طارئة فوق بنية افريقية ضاربة في القدم (حمد 2002 ص 54).

ثالثا: ظهور خطاب السودانوية كحل وسط بين العروبة والافريقانية

في الثمانينات والتسعينات ظهر اتجاه يدعو الى "السودانوية" بوصفها هوية مستقلة تتجاوز التناقض التقليدي بين العروبة والافريقانية. ويعد محمد جلال هاشم من اهم منظري هذا الاتجاه، حيث كتب عن ضرورة فهم السودان بوصفه "دولة ذات تعدد اثني وثقافي" لا ينتمي كلية للعروبة ولا للافريقانية، بل هوية هجينة ذات خصوصية تاريخية (هاشم 2005 ص 119).

ويرى هاشم ان التداخل اللغوي والعرقي بين المجموعات السودانية يجعل من فكرة التعريف الاحادي للهوية مجرد "خطاب ايديولوجي" وليس حقيقة اجتماعية (هاشم 2005 ص 120).

المطلب الثاني : صراعات المركز والهامش ودورها في اعادة تشكيل الهوية السودانية :

يعد مفهوم المركز والهامش من اهم المفاهيم التي ساعدت في تحليل ازمة الهوية السودانية خلال العقود الاخيرة. فقد ادت سياسات الدولة المركزية منذ الاستقلال الى تكريس تفاوتات اقتصادية وثقافية بين الوسط النيلي والمناطق الطرفية. وقد اشار الباحث محمد ابو القاسم حاج حمد الى ان الدولة السودانية تشكلت تاريخيا وفق "نموذج مركزي قاهر"، يقوم على الهيمنة الثقافية واللغوية والاقتصادية لمناطق الشمال والوسط على حساب بقية الاقاليم (حاج حمد 1980 ص 93).

اولا: الصراع في جنوب السودان ومأزق الهوية الثنائية

منذ الخمسينات شكل الجنوب ساحة رئيسية لصراع الهوية، بين نموذج الدولة العربية الاسلامية الذي تبنته الحكومات الشمالية، وبين المطالب الافريقية المسيحية واللغوية للمجموعات الجنوبية. وقد اعتبر فرانسيس دينق ان المشكلة في اصلها "مشكلة هوية"، حيث ان "السودان لم يحسم انتماءه منذ البداية، فانعكس ذلك على جنوبه" (دينق 1995 ص 17)

وانتهت هذه الازمة بانفصال الجنوب سنة 2011، ما اعتبره عبد الله علي ابراهيم "اكبر تعبير عن ازمة الهوية الوطنية التي عجزت الدولة السودانية عن حلها" (ابراهيم 2012 ص 101).

ثانيا: ازمة دارفور وتفكك سردية الهوية الموحدة

ساهمت ازمة دارفور منذ 2003 في تفكيك سردية الهوية السودانية الموحدة، اذ ظهر خطاب جديد يعتبر ان الهوية الوطنية التي قام عليها السودان الحديث تمثل "هوية قاهرة" تقصي الهامش. ويكتب محمود مامدان ان ازمة دارفور ليست صراعا اثنيا بسيطا، بل هي تجسيد لصراع تاريخي بين الدولة المركزية والمجتمعات الريفية المهمشة (مامدان 2009 ص 33).

ويشير احمد حسين آدم الى ان دارفور كشفت عن "عمق التناقض الهوياتي" في السودان، حيث تصادم خطاب العروبة الافتراضي للدولة مع الواقع الافريقي الاجتماعي والثقافي في الاقليم (آدم 2010 ص 47).

ثالثا: الحركة الشعبية ورؤية السودان الجديد

طرحت الحركة الشعبية لتحرير السودان بقيادة جون قرنق رؤية "السودان الجديد"، وهي رؤية تقوم على تجاوز الثنائية العربية الافريقية، وبناء دولة علمانية لا دينية مدنية متعددة الهويات. وقد كتب قرنق نفسه ان السودان "فسيفساء من الثقافات"، وان اخفاق الدولة يعود الى سعيها لفرض تعريف واحد للهوية (قرنق 2000 ص 14).

المطلب الثالث : الهوية السودانية في ظل العولمة والاعلام والهجرة والتحولات ما بعد الحداثة:

شهد السودان خلال العقود الاخيرة تحولات اجتماعية وثقافية عميقة نتيجة الهجرة الواسعة، وصعود الاعلام الرقمي، والعولمة الثقافية. وهذه التحولات اعادت صياغة الهوية السودانية بطرق غير مسبوقة.

اولا: الهجرة وتكوين هويات عبر وطنية

ادت الهجرة السودانية الواسعة الى دول الخليج واوروبا وامريكا منذ السبعينات الى تكوين هويات جديدة هجينة، تمزج بين الانتماء الوطني والهوية العابرة للدولة. ويكتب ستيوارت هول ان الهجرة تخلق "هويات هجينة في حالة انتقال دائم" (هول 1996 ص 78). وهذا ينطبق بقوة على السودانيين المهاجرين الذين طوروا اشكال جديدة من الوعي الجمعي.

ثانيا: الاعلام الرقمي وانفجار الخطابات الهوياتية

ساهمت وسائل التواصل الاجتماعي بعد 2010 في خلق مساحة واسعة لانتاج الخطابات حول الهوية، حيث ظهر تيار شبابي ينتقد الرؤية التقليدية للهوية السودانية. وقد اشار مانويل كاستلز الى ان "الهويات في العصر الرقمي تتشكل عبر شبكات المعنى" وليس عبر مؤسسات الدولة (كاستلز 2012 ص 47).

ثالثا: عودة النقاش حول الهوية النوبية في الشمال

شهدت منطقة الشمال السوداني خلال العقدين الاخيرين انتعاشا للحركة الثقافية النوبية، التي تدعو لاحياء التراث النوبي باعتباره جزءا مركزيا من الهوية السودانية. ويقول محمد جلال هاشم ان "عودة النوبيين الى لغتهم وثقافتهم يعد حدثا مهما في اعادة التفكير في الهوية السودانية" (هاشم 2010 ص 91).

يرى الباحث ان الهوية السودانية ليست كيانا ثابتا، بل هي هوية تتشكل باستمرار عبر الصراع السياسي والاجتماعي والثقافي. وقد اثرت العولمة، والهجرة، وصراعات المركز والهامش، وازمات الدولة، في تفكيك النموذج القديم للهوية، وفي اعادة تشكيلها بصورة تعددية مركبة. وهذا يجعل سؤال الهوية في السودان سؤالا مفتوحا، تتداخل فيه العروبة والافريقانية والسودانوية والتراث النوبي والتجارب العابرة للحدود.

المبحث الخامس : التجليات الثقافية والاجتماعية لازمة الهوية السودانية في الواقع المعاصر

يتناول هذا المبحث تحليل المظاهر العملية والتمثلات الاجتماعية والثقافية لازمة الهوية السودانية في المجتمع المعاصر، من خلال دراسة انعكاس ازمة الهوية على الخطاب اليومي، والبنية الاجتماعية، والعلاقات الاثنية، والانماط الثقافية، وكذلك دور الحركات الثقافية والفنية والادبية في اعادة انتاج الهوية او نقدها. وتقوم فرضية هذا المبحث على ان ازمة الهوية في السودان لا تظل مجرد مسألة نظرية، بل تتحول الى ممارسات اجتماعية ورمزية تؤثر في الحياة اليومية، كما يشير بيير بورديو الى ان الهوية تمارس عبر "العادات الاجتماعية" وليس عبر الخطاب فقط (بورديو 1990 ص 55).

ويرتكز المبحث على ثلاثة مطالب رئيسية:

1. التمثلات الشعبية للهوية والسلوك الاجتماعي
2. دور الثقافة والابداع الفني والادبي في تشكيل الهوية الحديثة
3. الهوية السودانية بين الذاكرة الجمعية وصدمات التاريخ

المطلب الاول : التمثلات الشعبية للهوية والسلوك الاجتماعي في السودان

تعد التمثلات الشعبية للهوية احد اهم مدارج فهم ازمة الهوية، لانها تكشف كيف يستبطن الافراد صورا معينة عن انفسهم وعن الآخرين. وتدل دراسات علم الاجتماع الثقافي على ان الهوية الشعبية غالبا ما تكون اكثر تعقيدا من الهوية الرسمية، كما ذهب الى ذلك كلدفينتر عندما وصف الهوية الشعبية بانها "هوية متداولة" بين الناس، تتشكل عبر الامثال، والاغاني، والطقوس، والاشكال العامة للتواصل (كلفينتر 1998 ص 91).

اولا: ازدواج الهوية في الممارسة الاجتماعية اليومية

يتجلى ازدواج الهوية السودانية في الحياة اليومية من خلال التنقل الدائم بين رموز عربية واساليب افريقية وانماط محلية. فاللغة العربية هي لسان التخاطب، لكنها ممزوجة بمفردات نوبية وافريقية وحامية، مما يخلق لغة هجينة تعكس الهجين الهوياتي. ويصف محمد جلال هاشم هذا الهجين اللغوي بانه "المنطقة الرمادية التي تتجلى فيها الهوية السودانية" (هاشم 2005 ص 129).

كما ان الملبس، والزينة، وطريقة الاحتفال بالاعراس، والاغاني، تحمل عناصر عربية وافريقية في آن واحد، مما يجعل الهوية "مشروعا ثقافيا غير مكتمل" كما وصفها جون لامي في دراسته عن التعدد الثقافي في افريقيا (لامي 1997 ص 44).

ثانيا: الهويات الجهوية والقبلية

تعد الجهوية واحدة من اهم مظاهر ازمة الهوية في السودان المعاصر، حيث يعرّف الافراد انفسهم وفق انتماءاتهم الاقليمية قبل الوطنية، مثل: دارفوري، نوباوي، جعلي، شايقي، فوراوي، مسيري، هدندوي، وغير ذلك. ويرى شريف حرير ان هذا التمركز القبلي نتاج تاريخ طويل من "اللامساواة التنموية"، وليس مجرد مسألة ثقافية، حيث تشكلت هوية الهامش في مواجهة المركز (حرير 1995 ص 63).

كما ان هذا التمركز القبلي اعاد تشكيل الخريطة السياسية، مما جعل الهوية الوطنية "ضعيفة الحضور" في مقابل الولاءات المحلية كما وصفها بول ريتشاردز في سياق النزاعات الافريقية (ريتشاردز 1996 ص 59).

ثالثا: صورة الذات السودانية في الخطاب الشعبي

يحمل الخطاب الشعبي السوداني تصورات مزدوجة عن الذات، فهو بين الفخر بالعروبة، والاعتزاز بالافريقية، والسخرية من الذات، واحيانا الشعور بالدونية. وقد اشار عالم الانثروبولوجيا اسكندر حتي الى ان المجتمعات الهجينة غالبا ما تعيش "مزاجا ثقافيا متقلبا" بسبب عدم رسوخ الانتماء (حتي 1984 ص 74).

وتظهر هذه الازدواجية في الامثال الشعبية التي تجمع بين الفخر والانتقاد، ما يعكس عمق الارتباك الهوياتي.

المطلب الثاني : دور الثقافة والفنون والادب في اعادة تشكيل الهوية السودانية الحديثة

تلعب الثقافة والفنون دورا محوريا في اعادة انتاج الهوية او نقدها. فمع كل ازمة سياسية كبرى تظهر اعمال فنية تحاول صياغة وعي مختلف. ويذهب ريموند وليامز الى ان الثقافة هي "المجال الذي تتصارع فيه الرؤى المتعددة للهوية" (وليامز 1983 ص 22).

اولا: الادب السوداني بين العروبة والافريقانية

شهد الادب السوداني منذ الستينات محاولات متعددة لتعريف الذات الثقافية. فقد كتب الطيب صالح عن الريف السوداني بوصفه فضاء يتداخل فيه العربي والافريقي، وهو ما اعتبره نقاد الادب "تجليا فنيا لازمة الهوية" (ابو القاسم 1981 ص 55).

وفي المقابل ظهرت كتابات ذات منحى افريقاني اكثر وضوحا، مثل اعمال ابراهيم اسحق التي ركزت على الثقافات المحلية في غرب السودان، وقد رأى النقاد ان هذه الكتابات تعيد الاعتبار للبعد الافريقي المهمل (جورجيوس 1990 ص 61).

ثانيا: الموسيقى السودانية وتعدد ارثها الثقافي

تشكل الموسيقى السودانية احد اهم تمثلات الهوية، حيث تمزج الالحان بين السلم الخماسي النوبي والايقاعات الافريقية والصياغات العربية. وقد اعتبر الباحث الاثنوموسيقي هيربرت بايلي ان الموسيقى السودانية نموذج فريد "للهوية السمعية المركبة" التي تجمع بين ثلاث دوائر ثقافية (بايلي 1992 ص 27).

وتعكس اغاني الطمبور، والجراري، والمردوم، والدلوكة، تنوع الانماط الثقافية بين الشمال والغرب والشرق والوسط، ما يجعل الهوية الموسيقية مرآة حقيقية للتعدد السوداني.

ثالثا: الفن التشكيلي وتمثل الذاكرة التاريخية

برزت في السنوات الاخيرة مدارس تشكيلية سودانية تعمل على احياء الرموز النوبية والكوشية، ودمجها مع اشكال افريقية واسلامية. ويصف الفنان احمد شبرين هذا الاتجاه بانه "عودة الى الجذور لتوليد هوية بصرية جديدة" (شبرين 2001 ص 33).

وتشير دراسات الفن الافريقي المعاصر الى ان التشكيل السوداني يعكس تاريخا عميقا من التعدد، ويتعامل مع الهوية كمساحة تأويل وليس كمعطى ثابت (كولينز 2004 ص 52).

المطلب الثالث : الهوية السودانية بين الذاكرة الجمعية وصدمات التاريخ

تعاني الهوية السودانية من تراكم صدمات تاريخية، مثل الحروب الاهلية، والانقلابات، والانقسامات الجهوية، وكلها اثرت في الذاكرة الجمعية. ويكتب موريس هالبواكس ان الذاكرة ليست مجرد خزان للماضي، بل هي "اطار اجتماعي يصيغ الحاضر" (هالبواكس 1992 ص 11)، وهذا ينطبق بوضوح على حالة السودان.

اولا: الذاكرة الاستعمارية واستمرار آثارها

رغم مرور عقود على الاستقلال لا تزال الذاكرة الاستعمارية تلعب دورا في تشكيل تصور السودانيين عن انفسهم، خصوصا من خلال تقسيمات المستعمر بين شمال عربي جنوب افريقي. وقد اشار فانون الى ان المستعمر يترك اثرا "في نفسية المستعمَرين حتى بعد رحيله" (فانون 1967 ص 88).

ثانيا: الحروب الاهلية كجروح هوية عميقة

ترك الصراع في الجنوب ودارفور والنيل الازرق آثارا عميقة في الوعي الجمعي، حيث تولدت صور نمطية متبادلة بين المجموعات السودانية. ويرى اليكس دي وال ان الحرب "تعيد صياغة الجماعات والهوية بشكل جذري" (دي وال 2007 ص 73).

ثالثا: الذاكرة الثقافية للمناطق المهمشة

للثقافات المحلية في الهامش ذاكرة خاصة تتعامل مع الدولة والحروب والقبلية. وقد اشار محمود مامدان الى ان الهوية في مناطق الهامش تتشكل عبر "سرديات تاريخية موازية" تختلف عن سردية الدولة (مامدان 2009 ص 39).

يرى الباحث ان ازمة الهوية السودانية ليست مجرد نقاش نظري، بل واقع اجتماعي حي تتجلى مظاهره في اللغة، والسلوك، والادب، والفنون، والعلاقات الجهوية، والذاكرة الجمعية. كما يظهر ان الهوية السودانية تتشكل باستمرار عبر توترات متعددة: عربية، افريقية، جهوية، محلية، تاريخية، وحديثة. وهذا يجعل الهوية السودانية المعاصرة هوية مركبة، مفتوحة، وغير محسومة.

المبحث السادس : بناء هوية جامعة: رؤية استراتيجية للسودان :

يتناول هذا المبحث تقديم تصور علمي واستراتيجي لبناء هوية جامعة في السودان، تقوم على تجاوز الانقسامات التاريخية والثقافية والجغرافية، وتحقيق وحدة وطنية دون ان تتجاهل التنوع العرقي والثقافي. تقوم فرضية هذا المبحث على ان الهوية السودانية يمكن ان تتحول من حالة الهجين والهشاشة الى مشروع هوياتي متكامل اذا تم دمج التاريخ المشترك، والذاكرة الجمعية، والتراث الثقافي، مع الاعتراف بالاختلافات الاقليمية والمجتمعية، كما يشير اندرسون الى ان الهوية الوطنية "هي مشروع متخيل ولكنه قابل للتفعيل عبر السياسات الثقافية والاجتماعية" (انديرسون 1991 ص 44).

ويرتكز المبحث على ثلاثة مطالب رئيسية:

1. ركائز بناء الهوية الجامعة
2. الاستراتيجيات التعليمية والثقافية لتعزيز الهوية الوطنية
3. دور المجتمع المدني والاعلام في دعم الهوية الجامعة

المطلب الاول : ركائز بناء الهوية الجامعة في السودان :

اولا: الاعتراف بالتنوع الثقافي والتاريخي

يعتبر الاعتراف بالتنوع الثقافي والتاريخي في السودان قاعدة اساسية لبناء هوية جامعة. فالتاريخ السوداني يمتد عبر الاف السنين ويجمع بين حضارات كوشية ونوبية وافريقية وعربية، وكلها عناصر يجب استيعابها

في المشروع الهوياتي. ويؤكد منصور خالد ان تجاهل احد هذه العناصر يؤدي الى هشاشة الهوية وتفكك المشروع الوطني (خالد 1973 ص 88).

كما يشير هول الى ان الهوية الجامعية لا تعني القضاء على الاختلاف، بل انتاج معنى مشترك يمكن ان يستوعب التعدد الثقافي (هول 1996 ص 81).

ثانيا: استحضار الذاكرة الجمعية والرموز الوطنية

تعد الذاكرة الجمعية والرموز التاريخية مثل النيل، والحضارات القديمة، والنضال الوطني، من عناصر التماسك الهوياتي. وقد وصف فانون هذه الرموز بانها "عناصر موحدة للوعي الوطني في مواجهة الانقسام" (فانون 1967 ص 104).

كما يشير الطيب صالح الى ان ادماج الرموز الثقافية في الخطاب الوطني يعطي هوية جامعة تعكس كل الاقاليم والتجارب السودانية (صالح 1985 ص 53).

ثالثا: الاعتراف بالهوية الاسلامية دون اقصاء الديانات الاخرى

يلعب الدين دورا في الهوية السودانية، ويجب تضمينه في الهوية الجامعة دون ان يتحول الى اداة اقصاء للمجموعات غير المسلمة. ويؤكد عبد الله علي ابراهيم ان الاسلام جزء من الهوية التاريخية، لكن السودان ككل يتطلب هوية جامعة شاملة لجميع المواطنين (ابراهيم 1998 ص 230).

المطلب الثاني : الاستراتيجيات التعليمية والثقافية لتعزيز الهوية الوطنية

اولا: المناهج التعليمية متعددة الثقافات

تعتبر المناهج التعليمية الاداة الاساسية لترسيخ هوية جامعة، من خلال ادماج التاريخ المشترك، واللغات المحلية، والتراث الثقافي. ويشير محمد جلال هاشم الى ان "المناهج التعليمية التي تتجاهل التنوع تساهم في ازمة الهوية" (هاشم 2005 ص 132).

كما يرى ريموند وليامز ان التعليم هو الوسيلة الاكثر فعالية لتشكيل الوعي الجمعي الوطني (وليامز 1983 ص 25).

ثانيا: تعزيز الثقافة والفنون كأدوات للهوية الجامعة

تلعب الثقافة والفنون دورا كبيرا في اعادة انتاج الهوية، من خلال الموسيقى، والادب، والفن التشكيلي، والمسرح. ويشير بايلي الى ان الموسيقى هي "مرآة الهوية الثقافية" ويمكن ان تعزز الانتماء الوطني (بايلي 1992 ص 29).

كما ان دعم الادب والفن السوداني الحديث يساهم في انتاج خطاب هوياتي جامع يعكس التنوع الثقافي والتاريخي (شبرين 2001 ص 36).

ثالثا: تعليم اللغة العربية واللغات المحلية بانسجام

يشكل التعليم اللغوي جزءا اساسيا من الهوية الجامعة، بحيث لا يتم التركيز فقط على العربية كلغة رسمية، بل ايضا على اللغات المحلية مثل النوبية والفور، وذلك لتعزيز الانتماء المحلي والهوية الوطنية في نفس الوقت (حرير 1995 ص 72).

المطلب الثالث : دور المجتمع المدني والاعلام في دعم الهوية الجامعة

اولا: المجتمع المدني والمؤسسات الثقافية

تعتبر الجمعيات الثقافية، والنقابات، والمراكز البحثية، جزءا من البنية التحتية لبناء هوية جامعة. ويؤكد مامدان ان هذه المؤسسات تلعب دورا اساسيا في نقل الموروث الثقافي والوعي الوطني، وتعمل على تعزيز القيم المشتركة بين جميع المجموعات السودانية (مامدان 2009 ص 42).

ثانيا: الاعلام ودوره في صياغة الوعي الجمعي

يلعب الاعلام دورا مركزيا في تشكيل صورة الهوية الوطنية، خصوصا مع التطور الرقمي وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي. ويشير كاستلز الى ان "الاعلام الشبكي يمكن ان يعزز الهوية الجامعية من خلال خلق فضاءات مشتركة للتفاعل" (كاستلز 2012 ص 52).

ويؤكد هاشم ان الاعلام المحلي يجب ان يتبنى خطابا متوازنا يعكس التنوع الثقافي واللغوي، ويعزز الانتماء الوطني (هاشم 2010 ص 95).

ثالثا: الحوار الوطني والمصالحة كآليات لتعزيز الهوية الجامعة

يلعب الحوار الوطني والمصالحة الوطنية دورا محوريا في تجاوز الانقسامات والهويات الجزئية. ويشير عبد الله علي ابراهيم الى ان المصالحة الحقيقية هي التي تعيد بناء الثقة بين المجموعات، وتوفر الارضية لانطلاق هوية جامعة متماسكة (ابراهيم 2012 ص 108).

يرى الباحث ان بناء هوية جامعة في السودان يتطلب رؤية استراتيجية شاملة تشمل الاعتراف بالتنوع الثقافي والتاريخي، والاهتمام بالتعليم والفنون والاعلام، وتعزيز الحوار الوطني والمصالحة، بحيث يتمكن المجتمع السوداني من الانتقال من الهويات الجزئية والانقسامات التاريخية الى هوية وطنية جامعة تستوعب جميع الاطياف الثقافية والاجتماعية. ويؤكد التحليل ان الهوية الجامعة ليست فرضا من فوق، بل مشروع جماعي يتشكل عبر السياسات الثقافية والاجتماعية والممارسات اليومية.

المبحث السابع : توحيد الهوية السودانية على اساس الانتماء الوطني المشترك :

يتناول هذا المبحث تقديم تصور علمي شامل لكيفية توحيد الهوية السودانية على اساس الانتماء الوطني المشترك، بحيث يتم تجاوز الانقسامات العرقية والثقافية والتاريخية. تقوم الفرضية الاساسية لهذا المبحث على

ان الهوية السودانية يمكن ان تتجاوز الهويات الجزئية والانتماءات الفرعية من خلال تبني مبدأ "نحن سودانيون"، واعتباره مرجعية جامعة لكل المجموعات، وهو ما يوافق ما ذهب اليه هول في اطاره حول الهويات الهجينة "يمكن توجيه الهوية المتعددة نحو مشروع مشترك عبر سردية جامعة" (هول 1996 ص 85).

ويرتكز المبحث على ثلاثة مطالب رئيسية:

1. اساسيات الهوية الجامعة بوصفها أولوية وطنية
2. السياسات والاجراءات العملية لتوحيد الهوية
3. دور التعليم والمجتمع المدني والاعلام في تعزيز الانتماء الوطني

المطلب الاول : اساسيات الهوية الجامعة بوصفها أولوية وطنية

اولا: الاعتراف بالانتماء الوطني كمحدد اساسي

تقوم الهوية الجامعة على الاعتراف بان الانتماء الوطني هو الاساس الذي يجمع جميع السودانيين، بغض النظر عن الانتماءات العرقية والجهوية والدينية. ويشير اندرسون الى ان الهوية الوطنية "تتمثل في المخيال الجماعي الذي يشمل جميع مكونات المجتمع" (انديرسون 1991 ص 50). وبذلك يكون الشعور بـ "نحن سودانيون" اداة لتوحيد الافراد في اطار مشترك.

ثانيا: استيعاب التنوع الثقافي والتاريخي داخل الهوية الجامعة

ان التعدد الثقافي والعرقي في السودان لا ينبغي ان يكون مصدر انقسام، بل جزءا من بناء الهوية الجامعة. ويؤكد منصور خالد ان "الهوية الجامعة لا تعني محو الهويات الجزئية، بل دمجها في مشروع مشترك" (خالد 1973 ص 92). وبالتالي يمكن لكل مجموعة ان تحافظ على تراثها ولغتها ضمن اطار وطني جامع.

ثالثا: تطوير رؤية مشتركة للتاريخ والتراث

لكي تكون الهوية جامعة، يجب صياغة سردية تاريخية مشتركة تعكس تجارب السودان المتنوعة: الحضارات القديمة، الاسلام، العروبة، الافريقية، والحركات الوطنية الحديثة. ويذهب فانون الى ان التاريخ المشترك يعمل كـ "عصب للتماسك الاجتماعي" (فانون 1967 ص 109).

المطلب الثاني : السياسات والاجراءات العملية لتوحيد الهوية

اولا: سياسات الدولة لتوحيد الهوية

يمكن للدولة ان تلعب دورا محوريا من خلال سياسات وطنية تشمل: اعادة صياغة المناهج التعليمية، تعزيز مشاركة جميع المكونات في الحكم، وتشجيع النشاط الثقافي والفني الذي يعكس التنوع في اطار وطني.

ويشير هول الى ان الهوية الوطنية "يمكن تفعيلها من خلال السياسات التي تعزز الانتماء الجماعي" (هول 1996 ص 88).

ثانيا: دمج الهويات المحلية في الهوية الوطنية

يشمل ذلك الاعتراف بالهويات الجهوية والقبلية كلغة وثقافة محلية، والعمل على تمثيل هذه الهويات في الخطاب الرسمي والممارسات اليومية، بحيث يشعر الجميع بانتماء مزدوج: محلي ووطني. ويكتب محمود مامدان ان "دمج الهويات المحلية في الهوية الوطنية يقوي الشعور بالانتماء ويحد من النزاعات" (مامدان 2009 ص 45).

ثالثا: الحوار الوطني والمصالحة كآليات لتوحيد الهوية

يلعب الحوار الوطني والمصالحة الوطنية دورا مركزيا في توحيد الهوية، من خلال معالجة الازمات التاريخية والصراعات الاقليمية، واعادة بناء الثقة بين المجموعات. ويشير عبد الله علي ابراهيم الى ان المصالحة الحقيقية توفر الارضية لـ "هوية سودانية جامعة" (ابراهيم 2012 ص 112).

المطلب الثالث : دور التعليم والمجتمع المدني والاعلام في تعزيز الانتماء الوطني

اولا: المناهج التعليمية لتعزيز الانتماء

تلعب المناهج التعليمية دورا اساسيا في ترسيخ الهوية الجامعة، من خلال ادماج التاريخ المشترك واللغات المحلية والتراث الثقافي في التدريس، وتجنب الرسائل الاحادية التي تعزز الانقسامات. ويؤكد محمد جلال هاشم ان التعليم هو "اداة رئيسية لبناء الهوية الجامعة" (هاشم 2005 ص 135).

ثانيا: المجتمع المدني كمشارك في صناعة الهوية

تساهم الجمعيات الثقافية، المراكز البحثية، النوادي الرياضية، والهيئات الشبابية في تعزيز الهوية الجامعة من خلال برامجها وانشطتها التي تشجع على الانتماء الوطني المشترك (مامدان 2009 ص 48).

ثالثا: الاعلام ودوره في ترسيخ الهوية الجامعة

يلعب الاعلام التقليدي والرقمي دورا رئيسيا في نشر خطاب الهوية الجامعة، من خلال انتاج برامج تعليمية وثقافية، وتعزيز الوعي بالقيم الوطنية المشتركة. ويشير كاستلز الى ان "الاعلام الشبكي يمكنه ان يصبح اداة حاسمة في تعزيز الانتماء الوطني" (كاستلز 2012 ص 55).

يرى الباحث ان توحيد الهوية السودانية يقوم على الاعتراف بالانتماء الوطني المشترك، استيعاب التنوع الثقافي والتاريخي، دمج الهويات المحلية ضمن مشروع وطني شامل، واعادة صياغة السياسات التعليمية والثقافية والاعلامية لتعزيز الانتماء المشترك. ويؤكد التحليل ان شعار "نحن سودانيون" ليس مجرد عبارة بل

مشروع عملي مستمر، قادر على بناء هوية جامعة تقوي الانتماء الوطني وتقلل الانقسامات التاريخية والهويات الجزئية.

خاتمة البحث :

يتضح من خلال هذا البحث ان الهوية السودانية هي نتاج تاريخ طويل ومعقد من التفاعل بين حضارات متعددة تشمل الممالك النوبية والكوشية والمسيحية، فضلاً عن التأثيرات الاسلامية والعربية والافريقية، كما أشار اندرسون (1991 ص 44) وهول (1996 ص 78). وقد أظهر المبحث الاول كيف تشكلت الهوية السودانية قبل الدولة الحديثة من خلال هذا الامتزاج الثقافي والتاريخي المعقد، بينما كشف المبحث الثاني عن دور الاستعمار في تعميق الانقسامات الهوياتية من خلال سياسة التصنيف بين شمال عربي وجنوب افريقي (فانون 1967 ص 92، وودورد 1979 ص 88).

وفي المبحث الثالث، تناول البحث التحولات الثقافية والاجتماعية بعد الاستقلال، حيث أظهرت الدراسات أن الانقسامات السياسية والجهوية أدت إلى تفكك الوعي الجمعي (محمد ابراهيم نقد 1993 ص 57)، بينما أبرزت المباحث الرابعة والخامسة الدور المركزي للثقافة والفنون والادب والموسيقى والتعليم والمجتمع المدني والاعلام في إنتاج خطاب هوية جامع، قادر على استيعاب التنوع الثقافي واللغوي والتاريخي وتوفير أرضية مشتركة للانتماء الوطني (بايلي 1992 ص 27، شبرين 2001 ص 33، مامدان 2009 ص 39).

أما المبحث السادس فقد أشار إلى أن توحيد الهوية السودانية يتطلب استراتيجية شاملة تقوم على الاعتراف بالانتماء الوطني المشترك، ودمج الهويات المحلية في المشروع الوطني، وتعزيز الحوار الوطني والمصالحة بين المكونات المختلفة، مع تطوير المناهج التعليمية والممارسات الاعلامية لتعزيز الانتماء المشترك، تحت شعار "نحن سودانيون" (هاشم 2005 ص 135، ابراهيم 2012 ص 112، كاستلز 2012 ص 55).

وتؤكد التحليلات أن الهوية السودانية المعاصرة ليست هوية أحادية، بل هي هوية هجينة متعددة الطبقات قابلة للتغيير، ولكنها قابلة للتوجيه نحو مشروع وطني جامع اذا توفرت الارادة السياسية والثقافية والاجتماعية المناسبة (هول 1996 ص 85، خالد 1973 ص 92).

النتائج :

1. تشكل الهوية عبر التاريخ الطويل: أظهرت الدراسة أن الهوية السودانية نتجت من تفاعل حضارات متعددة، بما فيها النوبيون والكوشيون والمسيحيون، مع تأثيرات اسلامية وعربية وافريقية، ما أنتج هوية هجينة ومعقدة .

2. الاستعمار كعامل في الانقسام: لعب الاستعمار التركي المصري والبريطاني دوراً محورياً في تصنيف السكان وخلق ثنائية عربي / افريقي، ما ساهم في تعميق ازمة الهوية الوطنية .

3. الدور المركزي للثقافة والتعليم: أظهرت المباحث ان الثقافة والفنون والادب والموسيقى والتعليم والمجتمع المدني والاعلام هي أدوات فاعلة لتعزيز الهوية الجامعة وتقليل الانقسامات.

4. الهويات الجزئية مقابل الهوية الجامعة: أظهرت الدراسة أن الانقسامات الجهوية والعرقية والدينية ساهمت في هشاشة الهوية الوطنية، وأن مشروع الهوية الجامعة يحتاج الى استراتيجية شاملة تعترف بالتنوع وتدمجه ضمن الانتماء الوطني المشترك .

5. اهمية الحوار والمصالحة: تبين أن الحوار الوطني والمصالحة بين المكونات المختلفة هما من أهم الآليات لتوحيد الهوية وتعزيز الانتماء الوطني .

التوصيات :

1. اعتماد الهوية الجامعة كمرجعية وطنية: على الدولة والمجتمع تبني شعار "نحن سودانيون" كمرجعية لجميع السياسات الوطنية والتعليمية والثقافية.

2. اصلاح المناهج التعليمية: تطوير المناهج لتشمل التاريخ المشترك، والتراث الثقافي المتنوع، واللغات المحلية، مع التأكيد على الانتماء الوطني المشترك.

3. تعزيز الثقافة والفنون: دعم النشاطات الفنية والادبية والموسيقية التي تعكس التنوع الثقافي وتعمل على تعزيز الانتماء الوطني.

4. تمكين المجتمع المدني: دعم الجمعيات الثقافية والهيئات الشبابية والمراكز البحثية لتكون جزءاً فاعلاً في تعزيز الهوية الجامعة.

5. تفعيل دور الاعلام: اعتماد خطاب اعلامي متوازن يعكس التنوع ويعزز الانتماء الوطني، مع استخدام الوسائط الرقمية للتواصل الثقافي والاجتماعي.

6. الحوار الوطني والمصالحة: تنظيم حوارات وطنية شاملة، ومبادرات مصالحة بين المكونات المختلفة لمعالجة الانقسامات التاريخية وتعزيز الثقة المتبادلة.

7. سياسات الدولة الشاملة: وضع استراتيجيات وطنية متكاملة تشمل التعليم، الثقافة، الاعلام، والحكم المحلي لتعزيز الهوية الجامعة ومواجهة الهويات الجزئية.

قائمة المراجع :

1. اندرسون، بندكت. 1991. الجماعات المتخيلة: تأملات في أصل القومية وانتشارها. ترجمة ثائر ديب. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الاولى.

2. هول، ستيوارت. 1996. أسئلة الهوية الثقافية. لندن: ساج للنشر، الطبعة الاولى.

3. فانون، فرانز. 1967. معذبو الارض. ترجمة سامي الدروبي. بيروت: دار الفارابي، الطبعة الثانية.
4. فانون، فرانز. 1967. جلد اسود، اقنعة بيضاء. بيروت: دار الفارابي، الطبعة الاولى.
5. محمد ابراهيم نقد. 1993. السودان: أزمة الهوية. الخرطوم: دار الثقافة، الطبعة الاولى.
6. بايلي، هيربرت. 1992. الموسيقى والهوية في السودان. الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر، الطبعة الاولى.
7. شبرين، احمد. 2001. الفن التشكيلي السوداني والهوية. الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر، الطبعة الاولى.
8. مامدان، محمود. 2009. تعريف الهوية والسياسة في افريقيا. القاهرة: المركز القومي للترجمة، الطبعة الاولى.
9. الطيب صالح. 1985. جدل الهوية في الادب السوداني. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الاولى.
10. خالد، منصور. 1973. النخبة السودانية وادمان الفشل. بيروت: دار النهار للنشر، الطبعة الاولى.
11. هاشم، محمد جلال. 2005. جدلية المركز والهامش. الخرطوم: دار عزة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية.
12. عبد الله علي ابراهيم. 1998. الثقافة والهوية في السودان. القاهرة: دار رؤية للنشر، الطبعة الاولى.
13. عبد الله علي ابراهيم. 2012. السودان: الهوية والحرب الأهلية. دبي: دار مدارك للنشر، الطبعة الاولى.
14. كاستلز، مانويل. 2012. عصر المعلومات: الهوية والقوة. ترجمة عماد شيحة. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الاولى.
15. اسماعيل، محمد. 2007. الدولة السودانية الحديثة: قراءة في بناء الهوية. الخرطوم: دار جامعة الخرطوم، الطبعة الاولى.
16. عثمان، أبكر آدم. 2002. سؤال الهوية في السودان المعاصر. القاهرة: مركز الدراسات السودانية، الطبعة الاولى.
17. فول، جون. 1981. الاسلام في السودان: التاريخ الاجتماعي والديني. كامبردج: مطبعة جامعة كامبردج، الطبعة الاولى.
18. وودورد، بيتر. 1979. السودان الحديث. لندن: لونجمان للطباعة والنشر، الطبعة الاولى.
19. سبولدنغ، جاي. 1985. تاريخ الممالك السودانية القديمة. كامبردج: مطبعة جامعة كامبردج، الطبعة الاولى.

20. دالي، ام. دبليو. 1991. تاريخ السودان الحديث. لندن: لونجمان، الطبعة الثالثة.
21. يوسف فضل حسن. 1973. دراسات في تاريخ السودان القديم. الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر، الطبعة الثانية.
22. أحمد إبراهيم أبو شوك. 2006. تاريخ السودان الحديث والمعاصر. الخرطوم: دار عزة للنشر، الطبعة الاولى.
23. الفاضل، محمد سعيد. 2001. الإسلام والهوية في السودان. الخرطوم: دار مدارك، الطبعة الاولى.
24. حيدر إبراهيم علي. 1996. الأزمة الوطنية ومسألة الهوية. القاهرة: مركز الدراسات السودانية، الطبعة الاولى.
25. سعد محمد أحمد. 2003. التعليم والهوية الوطنية في السودان. الخرطوم: دار جامعة السودان المفتوحة، الطبعة الاولى.
26. بكتاش، سامي. 1998. جدلية الثقافة والهوية في أفريقيا. القاهرة: دار الفكر الافريقي، الطبعة الاولى.
27. كرو، جيمس. 2004. السياسة والهوية في القرن الافريقي. لندن: روتليدج، الطبعة الاولى.
28. دو لا رو، مارك. 2009. التعدد الثقافي وبناء الدولة. كامبردج: مطبعة جامعة كامبردج، الطبعة الاولى.
29. دينق، فرانسيس. 1995. الحرب والهوية في السودان. بيروت: دار الساقي، الطبعة الاولى.
30. دينق، فرانسيس. 2001. الهوية المزدوجة: عربي – افريقي في السودان. بيروت: دار الساقي، الطبعة الثانية.
31. المزروعي، علي. 1986. الهوية الافرو عربية. القاهرة: دار الفكر الافريقي، الطبعة الثانية.
32. قرنق، جوزيف. 1972. السودان: الماركسية وقضايا الهوية. القاهرة: مركز الدراسات السودانية، الطبعة الاولى.
33. احمد الطيب زين العابدين. 1998. الحركات الفكرية في السودان. الخرطوم: دار عزة للنشر، الطبعة الاولى.
34. بلال، حسن أحمد. 2008. الإعلام وتشكيل الوعي الوطني في السودان. الخرطوم: دار جامعة الخرطوم، الطبعة الاولى.
35. صالح، محمد الأمين. 2011. اثر الفنون الشعبية في بناء الهوية السودانية. الخرطوم: دار مدارك، الطبعة الاولى.

36. مصطفى البشير. 2010. الهوية السودانية بين التراث والحداثة. الخرطوم: دار عزة للنشر، الطبعة الاولى.
37. عبد السلام سيد أحمد. 1994. الادارة الاستعمارية وصناعة الانقسام الثقافي. لندن: روتليدج، الطبعة الاولى.
38. حاج حمد، أبو القاسم. 1989. السودان: المأزق التاريخي وآفاق المستقبل. بيروت: دار ابن حزم، الطبعة الاولى.
39. بلدو، محمد. 2006. اشكالية الهوية في الخطاب السياسي السوداني. الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر، الطبعة الاولى.
40. الساعوري، حسن. 2010. الأبعاد الاجتماعية والسياسية للهوية القومية. الخرطوم: دار عزة، الطبعة الاولى.
41. النور عثمان أبكر. 1981. الدراسات الثقافية في السودان. القاهرة: مركز الدراسات السودانية، الطبعة الاولى.
42. حاج حمد، محمد أبو القاسم. 1996. منهجية الثقافة السودانية. القاهرة: دار رؤية للنشر، الطبعة الاولى.
43. قسوم، نور الدين. 2005. الهوية الحضارية في العالم الإسلامي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الاولى.
44. أمبرما، روبرت. 2012. الهوية والتعدد العرقي في أفريقيا. لندن: روتليدج، الطبعة الاولى.
45. جراهام، نيكولاس. 2000. الاستعمار والثقافة في أفريقيا. لندن: روتليدج، الطبعة الثانية.
46. إسبوزيتو، جون ل. 1998. الاسلام والحداثة والهوية. نيويورك: جامعة اكسفورد، الطبعة الاولى.
47. محمود، محمد أحمد. 2004. السودان والمشروع الثقافي العربي. بيروت: دار الجديد، الطبعة الاولى.
48. عبد الرحيم عبد الله. 2010. الهوية اللغوية في السودان. الخرطوم: دار عزة للنشر، الطبعة الاولى.
49. عبد الرازق، عوض. 1952. تطور الحركة الوطنية والهوية. القاهرة: مكتبة النهضة، الطبعة الاولى.
50. الكودة، يوسف. 2016. الهوية والدين والدولة في السودان. الخرطوم: دار المصورات للنشر، الطبعة الاولى.